

الحلقة الثالثة
قصص الخلفاء الراشدين

الْقِصَصُ الدِّينِيُّ

عَمْرُو السَّعْدِي

عبد الحميد جودة السحار

١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي
الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ،
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . »

(قرآن کریم)

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ ، يَتَفَقَّدُ
أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ . وَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ وَحْدَهُ ، وَجَدَ
نَاسًا قَدْ نَزَلُوا فِي السُّوقِ ، فَاسْرَعَ إِلَى دَارِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَطَرَقَ الْبَابَ ، فَفَتَحَتْ لَهُ زَوْجَةُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقَالَتْ لَهُ :

- لَا تَدْخُلْ حَتَّى أَدْخَلَ الْبَيْتَ وَأَجْلِسَ مَجْلِسِي .
فَظَلَّ عُمَرُ وَاقِفًا يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ لَهُ بِالْدُخُولِ ، فَلَمَّا
قَالَتْ لَهُ ادْخُلْ ، دَخَلَ فَوَجَدَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ قَائِمًا
يُصَلِّي ، فَانْتَظَرَ حَتَّى انْتَهَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ صَلَاتِهِ ،
وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَقُولُ لَهُ :

- مَا جَاءَ بِكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
- رُفْقَةٌ نَزَلَتْ فِي نَاحِيَةِ السُّوقِ ، خَشِيتُ عَلَيْهِمُ
سُرَاقَ الْمَدِينَةِ ، فَانْطَلَقْتُ فَلَنَحَرُسَهُمْ .

وسارا ، حتى إذا وصلا إلى السُّوق ، قعدا على
مكان مرتفع من الأرض يتحدثان ، وانقضى الليل
وهما يحرسان الناس ، حتى إذا أشرقت الشمس ،
اطمأنَّ عمرُ وترك المكان .

كان عمر يعتقد أنه مسئول عن الناس جميعاً ما دام
أميراً عليهم ، فكان يقسو على نفسه ، ليضمن
لرعيته الأمن والسلام .

وخرج عُمر ذاتَ ليلةٍ ومعه غلامُهُ ، وسارا حتى
 رأيا نارا ، فقال عمر :

- إني أرى هؤلاء رُكَّبا قَصَّرَ بهم اللَّيْلُ والبرْدُ ،
 انطلقْ بنا .

فذهبا يُهْرَوِلانِ حَتَّى اقتربا منهم ، فإذا امرأةٌ معها
 صبيانٌ لها ، وقِدْرٌ منصوبةٌ على النار ، وصبيانُها
 يَتَلَوْنَ من الجوع ، فقال عُمر :

- السَّلامُ عليكم .

قالتِ المرأةُ :

- وعليكَ السَّلامُ :

- أأدنو ؟

- أدنْ بخيرِ أودعْ (أو اذهب) .

- ما بالكم ؟

- قَصَّرَ بِنَا اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ .

- فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ ؟

- يَتَلَوْنَ مِنَ الْجُوعِ .

- وَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقِدْرِ ؟

- مَاءٌ أَسْكَنَهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا . وَاللَّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ

عَمْرٍ .

فَقَالَ عَمْرٍ مُعْتَذِرًا :

- رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَا يُذَرِّي عُمَرَ بِكُمْ !

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ فِي انْكَارٍ :

- يَتَوَلَّى أَمْرَنَا وَيَغْفُلُ عَنَّا ؟ !

فَنَظَرَ عَمْرٌ إِلَى غَلَامِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

- انْطَلِقْ بِنَا .

فَذَهَبَا يَهْرَوِلَانِ ، حَتَّى أَتَيَا دَارَ الدَّقِيقِ ، فَأَخْرَجَ

عَبْدًا (جَوَالِقَا) ، وَقَالَ لِلْغَلَامَةِ :

- احْمِلِي عَلَيَّ .

فَقَالَ الْغَلَامُ :

- أنا أَجِلُّهُ عَنْكَ .

فَقَالَ عَمْرُ :

- أَجِلُّهُ عَلَيَّ .

- أنا أَجِلُّهُ عَنْكَ .

فَقَالَ لَهُ عَمْرُ فِي غَضَبٍ :

- أَنْتَ تَحْمِلُ وَزْرِي عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا أَمَّ

لَكَ ؟

فَحَمَلَهُ عَلَيْهِ ، وَانْطَلَقَا يُهْرَوِلَانِ ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الْمَرْأَةِ ، فَالْقَى الْعِدْلَ عِنْدَهَا ، وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ شَيْئًا ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ الْقِدْرِ ، وَكَانَ ذَا لِحْيَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَرَاحَ الدُّخَانُ بِخُرُجِ مَنْ خَلَّلَ لِحْيَتِهِ ، وَاسْتَمَرَ يَنْفُخُ فِي النَّارِ ، حَتَّى أَنْضَجَ الطَّعَامَ ، وَأَنْزَلَ الْقِدْرَ ، وَوَضَعَ الطَّعَامَ فِي صَحْفَةٍ (شَبَّهَ طَبَقَ) ، وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ :

- أَطْعِمِيهِمْ .

وراحتِ المرأةُ تُطْعِمُ الصَّيَّانَ ، فلما شَبِعُوا قالت
له ، وهى لا تعرفُ أَنَّهُ عُمَرُ :
- جزاك اللهُ خيرا ، أنتَ أَوْلَى بهذا الأمرِ من أميرِ
المؤمنين .

فقال لها عمرُ أميرُ المؤمنين :
- قُولِي خيرا . إنك إذا جئتِ أميرَ المؤمنين ،
وَجَدْتَنِي هناكَ إن شاء اللهُ .
ووقفَ بعيدا ينظرُ إلى الصَّيَّانِ ، حتى رأى الصَّبِيَّةَ
يَصْطَرِعُونَ وَيَضْحَكُونَ ، ثم ناموا وهدأوا ، فقال
عمرُ :
- الحمدُ لله .

ثم التفتَ إلى غلامِهِ ، وقال :
- إِنَّ الجوعَ أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ ، فَاحْيَيْتُ أَنْ
لَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ .

أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر ، فأقبلت
فرس ، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو بن
العاص ، فقال :

- فرسى ورب الكعبة .

فلما دنت الفرس ، عرفها صاحبها المصري ،
فقال : فرسى ورب الكعبة .

فقام محمد بن عمرو بن العاص إلى المصري ،
فضربه بالسوط ، وقال :

- خذها وأنا ابن الأكرمين .

بلغ ذلك أباه عمرو بن العاص ، فخشى أن يشكو
المصري ما ناله لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب ،
فحبس الرجل ، ولكنه هرب من سجنه ، وأتى
عمر ، فأرسل عمر إلى عمرو أن يأتيه من قوره ،

ومعه ابنه محمد ، فلما مثلاً أمام أمير المؤمنين ، أعطى
عمرُ دِرْتَه للمِصرى ، وقال له :

- اضرب بها ابن الأكرمين .

فأخذها الرَّجُل ، وضرب محمداً ، ثم طلب منه أن
يضرب بها عمرو بن العاصِ نفسه ، قائلاً :

- فوالله ما ضربتك إلا بفضلِ سلطانهِ .

فقال المِصرى .

- يا أمير المؤمنين ، قد ضربتُ من ضربَنِى .

فقال عمر :

- أما والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه ، حتى
تكون أنت الذى تدعُهُ .

ثم وَجَّه الكلامَ إلى عمرو ، فقال :

- أيا عمرو ، متى تعبدتُمُ الناسَ وقد ولدتَهُمُ

أمهاتُهُم أحراراً ؟ !

رأى عُمر شيخاً ضريباً يسألُ عليَّ باب ، فلمَّا
 عَلِمَ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ ، قَالَ لَهُ :
 - مَا أَجَاكَ إِلَى مَا أَرَى ؟
 قَالَ الْيَهُودِيٌّ :

- أَسْأَلُ الْجَزِيَّةَ وَالْحَاجَةَ وَالسَّن .
 فَأَخَذَ عُمرُ بِيَدِهِ ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى دَارِهِ ، فَأَعْطَاهُ
 مَا يَكْفِيهِ سَاعَتَهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى خَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ يَقُولُ
 لَهُ :

- أَنْظِرْ هَذَا وَضُرْبَاءَهُ (أَمْثَالَهُ) فَوَاللَّهِ مَا أَنْصَفُنَاهُ
 إِنْ أَكَلْنَا شَيْئَةً (أَيْ اسْتَفَدْنَا مِنْهُ وَهُوَ شَابٌّ) وَنَحْرُهُ
 عِنْدَ الْحَرَمِ . إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ،
 وَهَذَا مِنْ مَسَاكِينِ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وَوَضَعَ عُمرُ عَنْهُ الْجَزِيَّةَ وَعَنْ ضُرْبَائِهِ ، فَقَدْ
 كَانَتِ الْجَزِيَّةُ تُجْبَى مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ .

لم يشأ عمرُ أن تاكلَ الدولةَ الرجلَ وهو شابٌ ،
ثم لا تُصِفِه إذا كبر ، مع علمِه أنه يهودى ، ولم
يكتفِ عمرُ بحمايةِ المسنين ، بل فَرَضَ لكلِّ مولودٍ
مائةَ درهمٍ من بيتِ مالِ المسلمين . سَمِعَ عمرُ بكاءَ
صبيٍّ ، فتوجَّه نحوه ، وقال لأُمِّه :

- اتقي الله ، وأحسنى إلى صبيِّك .

ثم عادَ إلى مكانِه ، فسمعَ بكاءَه ، فعادَ إلى أُمِّ
الصبيِّ ، فقال لها مثلَ ما قال ، ثم عادَ إلى مكانِه
فلَمَّا كان من آخرِ الليل ، سَمِعَ بكاءَه . فأتى أُمُّه ،
فقال لها :

- وَيَحَكْ ، إِنِّي أَرَاكِ أُمَّ سَوَاءٍ . مَالِي أَرَى ابْنَكَ
لَا يَقْرَأُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ ؟

- إِنِّي أُرِيغُهُ (أَصْرِفُهُ) عَنِ الطَّعَامِ ، فَيَأْتِي .

- ولم ؟

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ :

- لِأَنَّ عَمْرَ لَا يَفْرِضُ إِلَّا لِلْفُطَمِ (الْمُفْطُومِينَ) .

- وكم له ؟

- كذا وكذا شهرا .

- وَيَحْكُ لَا تُعْجِلِيهِ .

ثم صَلَّى عمرُ الفجر ، فلَمَّا سَلَّمَ قَالَ : « يَا بُوْسَى
لَعْمَر ، كَمْ قَتَلَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ » ثم أَمَرَ مُنَادِيَا
فَنَادَى : أَلَّا تُعْجِلُوا حَبِيَّانَكُمَا عَنِ الْفُطَامِ ، فَإِنَّا
نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ .

ومن ذلك اليوم أصبحَ عمرُ يَفْرِضُ مِائَةَ دِرْهَمٍ
لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ .

٥

تَرَكَ جُنْدَبُ بْنُ عُمَرُ بْنُ حُمَمَةَ الدُّوسِيُّ ابْنَتَهُ
الصَّغِيرَةَ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَدِيِّ ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، لِيُحَارِبَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَدِيِّ :

- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي وَجَدْتُهَا كَافَّةً ، فَرَوَّجْتُهَا
وَلَوْ بِشِرَاكِ نَعْلِهِ (أَيْ وَلَوْ دَفَعْتُ مَهْرَهَا سِرَّ نَعْلِهِ) ،
وَأَلَّا فَأَمْسَكْتُهَا ، حَتَّى تُلْحَقَهَا بِدَارِ قَوْمِهَا .

وَاسْتَشْهَدَ أَبُوهَا فِي حُرُوبِ الشَّامِ ، فَبَقِيَتْ عِنْدَ
عَمْرِ ، تَدْعُوهُ أَبَاهَا ، وَيَدْعُوهَا ابْنَتَهُ ، وَكَانَ عَمْرُ
يَفْكُرُ فِي إِسْعَادِهَا ، فَبَيْنَمَا كَانَ عَلَى الْمُنِيرِ يَوْمًا ، إِذْ
خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرُهَا ، فَقَالَ :

- مَنْ لَهُ فِي الْجَمِيلَةِ الْحَسْبِ بِنْتُ جُنْدَبِ بْنِ
عَمْرٍو ، وَلَيَعْلَمَ امْرُؤٌ مِنْ هُوَ !
فَقَامَ عُثْمَانُ فَقَالَ :

- أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

- أَنْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ ! كَمْ سَقَتْ إِلَيْهَا (كَمْ تَدْفَعُ مِنْ
مَهْرٍ) ؟

- كَذَا وَكَذَا .

وَنَزَلَ عَنِ الْمُنِيرِ ، فَجَاءَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بِمَهْرِهَا ، فَأَخَذَهُ عَمْرُ فِي يَدِهِ ، فَدَخَلَ بِهِ عَلَيْهَا ،
فَقَالَ :

- يَا بَنِيَّةَ ، مُدِّي حِجْرَكَ .

فَتَحَتْ حِجْرَهَا ، فَأَلْقَى فِيهِ الْمَالَ ، ثُمَّ قَالَ :

- يا بُنَيَّةُ ، قُولِي اللّٰهُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ .

فَقَالَتْ :

- اللّٰهُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَمَا هَذَا يَا أَبَتَاهُ ؟

- مَهْرُكَ .

فَخَجَلَتْ وَرَمَتْ بِهِ بَعِيدًا ، وَقَالَتْ :

- وَأَسْوَأَتَاهُ !

- احْتَبِسِي مِنْهُ لِنَفْسِكَ ، وَوَسَّعِي مِنْهُ لِأَهْلِكَ .

وَالْتَفَتَتْ إِلَى حَفْصَةَ ابْنَتِهِ وَقَالَ :

- يَا بِنْتَاهُ ، أَصْلِحِي مِنْ شَأْنِهَا .

وَلَمَّا تَهَيَّأَتِ الْفَتَاةُ ، أَرْسَلَ بِهَا مَعَ نِسْوَةٍ إِلَى

عُثْمَانَ ، فَلَمَّا خَرَجْنَ ، قَالَ عُمَرُ :

- إِنَّهَا أَمَانَةٌ فِي عُنُقِي ، وَأَخْشَى أَنْ تَضِيعَ بَيْنِي

وَبَيْنَ عُثْمَانَ ، فَلَحِقَهُنَّ ، وَسَارَ بِهَا ، حَتَّى ضَرَبَ

عَلَى عُثْمَانَ بَابَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

- خُذْ أَهْلَكَ ، بَارِكْ اللَّهُ فِيهِمْ .

وَعَادَ مَظْمُونًا ، بَعْدَ أَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ .

كان عُمر الإمام العادل الذي يَسهرُ على راحةِ
رعيَّته ، كان أبا العيال إذا غابَ الرُّجالُ في
الحروب ، والبَلَسَمَ الشَّافِي للفقراء والمُعوزين
والمُسِنَّين وأصحابِ الحاجات .